بالالتحام المباشر بين طرفي الصراع، وهو ما ينعكس في «ما تبقى لكم»، ليضع مسألة الصراع الفلسطيني مع العدو الصهيوني في حيز الوجود وفي دائرة التحقق العياني، فتنطق داخلية الشخصية المركزية في الرواية قائلة: «ان حياتي وموتك يلتحمان بصورة لا تستطيع أنت، ولا أستطيع أنا فكهما. ورغم ذلك، فلا أحد يعرف كيف يجري الحساب هنا»[٤٠]... ان ثمة ارتطاماً قدرياً لا يصدق يحصل في أعمال غسان بين أبطاله الفلسطينيين وأطراف الصراع الأخرى[٤١]... انهم دائماً في مواجهة معاداة الوجود: الموت مقابل الحياة، أو الحياة مقابل الموت، واصرار أبطاله على الصراع، هو ما تلتحم معه الكتابة كيانياً، فيصر بطل المسرحية «القبعة والنبي» على الاحتفاظ بالشيء، الذي يبدو ــ كما تشي الكلمات ــ كما لو كان هوية الفلسطيني، شخصيته غير القابلة للمحو، واصراره على الاحتفاظ بهذا الشيء هو بمثابة اصراره على منفاه[٤٢]، انه مدخله الحقيقي الى العالم[٤٣]، ودونه سيرتد العالم الى الغبار والصدأ[٤٤]. والمسرحية تتحمل برموز الوضع الفلسطيني وتتكلم بين سطورها على الواقع الفلسطيني، وانطلاقة الحركة الثورية منظمة ومعبأة، خصوصاً وأنها مكتوبة في أوائل عام ١٩٦٧.. ولكنها رغم ذلك تحكي شرطها الإنساني وتعممه، دون أن يؤثر ذلك على امكانية التعدد في تفسيرها، في محمولها الرمزي ومحمولها الفلسفي المجرد. ولكن ما يعزز هذا المحمول الرمزي، الذي نذهب اليه، هو تشابه أبطالها مع أبطال غسان في رواياته وقصصه التي تحكي القضية الفلسطينية وآفاق تطورها، وهم كما تقول الدكتورة خالدة سعيد: «أبطال مجازفون كيانياً يحطمون اطار الاستقرار الزائف والسلامة المؤقتة»[٤٥].

كتابة غسان، إذاً، هي كتابة الوجود في منطواه الفلسطيني، وهي برحلتها القصيرة في الزمن، تلتحم بقلق الإنسان الفلسطيني في جوهر وجوده... ذلك الوجود الذي يعكس قلق المخاطرة في تحقيق الذات على سؤال الهوية الفلسطينية مقابل مؤامرات الاقتلاع والنفي.

---

(١) غسان كنفاني، **الآثار الكاملة**، بيروت: دار الطليعة، المجلد الثاني (القصص القصيرة)، الطبعة الأولى ١٩٧٣، مقدمة الدكتور يوسف ادريس، ص ١١.

(٢) **المصدر نفسه**، مجموعة عن الرجال والبنادق، قصة الصغير يستعير مرتينة خاله ويشرق الى صفد، ص ٦٢٥.

(٣) أنظر، في هذا الخصوص، حديثاً أجراه معه كاتب سويسري قبل استشهاده، ونشر في **شؤون فلسطينية**، العدد ٣٥، تموز (يوليو) ١٩٧٤، ص ١٣٦.

(٤) غسان كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، المجلد الأول، رواية عائد الى حيفا، ص ٤١٣.

(٥) **المصدر نفسه**، المجلد الثاني، مجموعة أرض البرتقال الحزين، قصة الأخضر والأحمر، ص ٣٥٦.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٩.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٣٦٠.

(٨) **المصدر نفسه**، قصة العروس، ص ٦٠٦.

(٩) **المصدر نفسه**، المجلد الأول، رواية أم سعد، ص ٢٥٠.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٢.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٥.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٧٠.

(١٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٧٨.

(١٤) **المصدر نفسه**، ص ٣٣٤.

(١٥) أنظر: جزءاً من يومياته ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠، **الكرمل**، (بيروت)، العدد الثاني، ربيع عام ١٩٨١.